المجتمع اليهودي بين الاستشراق والاستغراب

محمد خليفة حسن أحمد

أستاذ تاريخ الأديان

كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة قطر، قطر

mkhalifa@qu.edu.qa

تاريخ استلام البحث: ٢٤/ ٣/ ٢٠٢١ تاريخ تحكيمه: ٥/ ٦/ ٢٠٢١ تاريخ قبوله للنشر: ٦/ ١٠/ ٢٠٢١

ملخص البحث

أهداف البحث: يهدف البحث إلى التعريف بدور الاستشراق في بناء المجتمع اليهودي، وتوظيفه للمعرفة بفلسطين وبالعرب والمسلمين في احتلال فلسطين وتهويدها. والتعريف أيضًا بالاستغراب في الاهتمام بدراسة الغرب بشكل عام، ودراسة الأقليات اليهودية في الغرب الأوروبي والأمريكي، وتوظيف تلك المعرفة من أجل تمكين الأقليات اليهودية في مجتمعاتها الغربية. وهكذا يصبح الاستشراق والاستغراب أهم وسائل الصهيونية في الوصول إلى القوة من خلال توظيف المعرفة.

منهج الدراسة: يعتمد البحث على المنهج التحليلي النقدي مع الاستعانة بالمنهج الوصفي التاريخي.

النتائج: توصل البحث إلى معرفة أهمية الاستشراق والاستغراب، ودورهما في بناء المجتمع اليهودي، وتحديد العلاقات بين مكونات هذا المجتمع، وتوظيفه للمعرفة الشرقية والغربية من أجل تمكين المجتمع اليهودي، وحصوله على القوة التي تضمن استمراره.

أصالة البحث: يُعرّف البحث بالدور الاستشراقي والاستغرابي في توظيف المعرفة توظيفًا سياسيًا؛ لتمكين المجتمعات اليهودية في الشرق والغرب.

الكلمات المفتاحية: الاستشراق، الاستغراب، المجتمع اليهودي، فلسطين، الأقليات اليهودية، السفارديم، أشكناز

للاقتباس: محمد خليفة حسن أحمد، «المجتمع اليهودي بين الاستشراق والاستغراب»، مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، المجلد ٣٩، العدد ٢، ٢٠٢١، عدد خاص حول «فكر الاستغراب في التداول المعرفي المعاصر: نحو رؤية علمية موضوعية في استكشاف الآخر»

https://doi.org/10.29117/jcsis.2021.0303

© ٢٠٢١، محمد خليفة حسن أحمد، مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، دار نشر جامعة قطر. تم نشر هذه المقالة البحثية وفقًا لشروط Creative Commons Attribution-NonCommercial 4.0 International (CC BY-NC 4.0). وتسمح هذه الرخصة بالاستخدام غير التجاري، وينبغي نسبة العمل إلى صاحبه، مع بيان أي تعديلات عليه. كما تتيح حرية نسخ، وتوزيع، ونقل العمل بأي شكل من الأشكال، أو بأية وسيلة، ومزجه وتحويله والبناء عليه، طالما يُنسب العمل الأصلي إلى المؤلف. https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

The Jewish Society between Orientalism and Occidentalism

Muhammad Khalifa Hasan Ahmad
Professor of the History of Religions
College of Sharia and Islamic Studies, Qatar University, Qatar
mkhalifa@qu.edu.qa

Received: 24/3/2021 Reviewed: 5/6/2021 Accepted: 6/10/2021

Abstract

Purpose: This research aims to identify the role of Orientalism in the building of Jewish society and how Orientalism and Occidentalism were used in the occupation of Palestine during its transition into a Jewish state. It also aims to shed light on how Jewish society was empowered through the knowledge gained by Orientalism and Occidentalism. The study reveals that both Orientalism and Occidentalism have been the most important means used by Jewish people to attain power through knowledge.

Methodology: The main methods used in the research are the descriptive analytical and historical methods.

Findings: The findings of this study increase the knowledge of the importance of Orientalism and Occidentalism in the creation and structuring of Jewish society and the knowledge of the cross-cultural empowerment of Jewish minorities and societies.

Originality: The research is new in its attempt to underscore the important roles of Orientalism and Occidentalism in the building and structuring of Jewish society.

Keywords: Orientalism; Occidentalism; Jewish Society; Palestine; Jewish minorities; Sephardim; Ashkenazim

Cite this article as: Muhammad Khalifa Hasan Ahmed, "The Jewish Society between Orientalism and Occidentalism", *Journal of College of Sharia and Islamic Studies*, Volume 39, Issue 2, (2021), Special issue on "Occidentalism in Contemporary Cognitive Deliberation: Toward Objective Scientific Vision for Exploring the Other"

https://doi.org/10.29117/jcsis.2021.0303

© 2021, Muhammad Khalifa Hasan Ahmed. Published in *Journal of College of Sharia and Islamic Studies*. Published by QU Press. This article is published under the terms of the Creative Commons Attribution-NonCommercial 4.0 International (CC BY-NC 4.0), which permits non-commercial use of the material, appropriate credit, and indication if changes in the material were made. You can copy and redistribute the material in any medium or format as well as remix, trans.form, and build upon the material, provided the original work is properly cited. The full terms of this licence may be seen at https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/.

المقدمة

أدى الاحتلال اليهودي لفلسطين، وتكوين الكيان الصهيوني باسم إسرائيل، إلى خلق وضعية لإسرائيل تجمع بين الاستشراق والاستغراب. أما الوجه الاستشراقي فيأتي من كون إسرائيل جغرافيًا تنتمي إلى الشرق، ويجمع سكانها بين الانتماء للشرق والغرب معًا حسب القسمة الإثنية ليهود إسرائيل إلى يهود أشكناز ويهود سفارديم. وقد أثرت هذه التركيبة الإثنية المزدوجة للمجتمع الإسرائيلي على تطور اهتمامٍ مزدوج بالاستشراق والاستغراب معًا. وقد أكدت ظاهرة الشتات اليهودي على بروز هذه الازدواجية؛ فقد أدى الشتات إلى توزع اليهود بين بلدان العالم في الشرق والغرب. وكان من الطبيعي في ظل هذه الازدواجية الإثنية، وفي ظل الشتات أن يتطور اهتمام مزدوج يجمع بين الاستشراق والاستغراب. وقد كان للموقع الجغرافي للأقليات اليهودية في العالم أن يتوزع الاهتمام بين الاستشراق والاستغراب؛ فالأقليات اليهودية الواقعة في الشرق أصبحت مهتمة بالاستغراب بينما اهتمت الأقليات اليهودية الواقعة في الغرب بالاستشراق. وقد يحدث جمع بين الاستشراق والاستغراب، كما هو الحال في إسرائيل التي تجمع بين دراسة الشرق الذي يعيش فيه الآن وبين الغرب المهم لوجود أقليات يهودية فيه نشأت حولها دراسات يهودية من ناحية، ولمعرفة علاقاتها بالأقليات اليهودية بشكل خاص. ويأتي قبل هذا الاهتمام بالشعوب الشرقية العربية التي هي في مواجهةٍ مع اليهود منذ ظهور الصهيونية وتبلور أطماعها في فلسطين.

أولًا: التعريف بالسفارديم والاشكناز

١ـ السفارديم: يعود السفارديم إلى أصول إسبانية أو برتغالية ولهم لهجة إسبانية خاصة تسمى لادينو، ولهم أيضًا عاداتهم وطقوسهم الخاصة التي احتفظوا فيها بالتقاليد اليهودية البابلية بدلا من التقاليد الفلسطينية التي احتفظ بها الأشكناز ويطلق مصطلح «سفاردي» على أي يهودي من الشرق الأوسط أو الشمال الأفريقي.

وكلمة «سفارديم» جمعٌ في اللغة العبرية، ومفردها «سِفَردي»، وتعني أيضًا «إسباني» من كلمة سِفْرد بمعنى إسبانيا. وكلمة سِفَردي تشير إلى اليهودي الذي عاش في إسبانيا والبرتغال وذلك من القرون الأخيرة من عمر الإمبراطورية الرومانية حتى زمن اضطهاد اليهود وطردهم من هذه البلاد في العقود الأخيرة من القرن الخامس عشر الميلادي. وقد فرَّ السفارديم إلى شمال أفريقيا وإلى أجزاء أخرى من الإمبراطورية العثمانية، واستقرت أعداد منهم في فرنسا، وهولندا، وإنجلترا، وإيطاليا، والبلقان. وأصبحت سالونيكا في مقدونيا ومدينة أمستردام من المواقع الأساسية للاستيطان السفاردي[1].

وقد احتفظ السفارديم في هذه المواقع الجديدة بلغتهم اليهودية الإسبانية الأصلية «لادينو» وبعاداتهم وأدبهم. وقد عُرفوا بإنجازاتهم الثقافية والفكرية في المجتمعات اليهودية في حوض البحر الأبيض المتوسط والشمال الأوروبي. وقد

(1) Sephardi: Meaning, Customs, History and Facts, p. 1. Available at: http://www.Britannica.com,

اختلفوا عن الأشكناز ذوي الأصول الألمانية في كثير من عاداتهم وطقوسهم. وهذا يعكس اختلافًا في التعبير التقليدي أكثر من كونه يدل على الاختلاف في الفرقة. وبصل عددهم في العالم مع بداية القرن الحادي والعشرين إلى مليون ونصف، أقل بكثير من أعداد الأشكناز. ويعيش العدد الأكبر منهم في إسرائيل التي يوجد بها حاخام أكبر للسفارديم وآخر للأشكناز.

٢ـ الأشكنازيم: كلمة عبرية جمع مفرده «أَشكنازي»، وهم من يهود الشتات الذي عاشوا في بلدان الإمبراطورية الرومانية مع نهاية الألفية الأولى تقريبًا. ولغتهم المنتمية إلى الشتات هي اليديشية، وهي لغة ألمانية مختلطة بالعبرية والآرامية واللغات السلافية. وتطورت بعد هجرتهم إلى الشمال الأوروبي بداية من ألمانيا وفرنسا في العصور الوسطى وقد استخدموا العبرية كلغة دينية مقدسة، وكانت لهم إنجازات مهمة في الفلسفة، والعلم، والأدب، والفن، والموسيقى، ويشير مصطلح «أشكنازي» إلى المستوطنين اليهود الذين أنشأوا مجتمعات على طول نهر الراين في غرب ألمانيا وفي شمال فرنسا منذ العصور الوسطى. وقد تبنوا التقاليد اليهودية البابلية والفلسطينية، وتقاليد غربي حوض البحر الأبيض المتوسط[١]، وقد تطورت طقوسهم الدينية في مدن ماينز، وورمز، وترويز. وكان للحاخام الفرنسي راشي تأثير عظيم على الديانة اليهودية. وفي العصور الوسطى المتأخرة، ولأسباب مرتبطة بالاضطهاد، تحولت الغالبية العظمى من الأشكناز إلى الشرق خارجين من بلاد الإمبراطورية الرومانية متجهين إلى مناطق من الكومنولث الذي يشتمل حاليا على أجزاء من بلاروسيا، استونيا، لاتفيا، لتوانيا ومولدوفا، وبولندا وروسيا، وسلوفاكيا، وأوكرانيا. وقد تركوا لغة اليديش تدريجيًا واستخدموا اللغة الألمانية مطورين حياة دينية وهوية ثقافية يهودية. ويبلغ عدد اليهود الأشكناز في العالم حوالي من عشرة ملايين إلى إحدى عشرة مليونًا. وهم يكونون تقريبًا ٧٥٪ من يهود العالم[٢].

وبالنسبة إلى علاقاتهم باليهود السفارديم، فقد كانت العلاقات متوترة ويشوبها الجهل والحمق ودعاوى التميز العرقي ودونية الفريق الآخر استنادًا إلى بعض الملامح الجسمية والثقافية. وهناك نظرة دونية إلى السفارديم من شمال أفريقيا واليهود البربر، ويعتبرهم الأشكناز مواطنين من الدرجة الثانية في إسرائيل الأمر الذي أدى إلى ظهور حركات معارضة مثل حركة الفهود السوداء التي قادها المغربي سعديا مرسيانو. وهناك تطور بسيط في هذه العلاقة؛ حيث قبل الأشكناز أعدادًا من القادمين الجدد من السفارديم، ونتج عن هذا أحيانا حالات من الزواج المختلط، وإمكانية الاندماج بين المجتمعين اليهوديين المختلفين. وللأشكناز إسهام كبير في المجتمع الغربي في مجالات العلوم الطبيعية والاجتماعية، وفي الرياضيات، والأدب والاقتصاد والسياسة، والإعلام، والفن. وقد فاز الأشكناز بنسبة كبيرة من الجوائز العالمية وبخاصة جائزة نوبل ومنهم ألبرت أينشتاين. ومنهم ٢٣٪ من أغنى الأمريكيين، و٣٨٪ من الفائزين بالأوسكار[٣].

(1) https://en.wikipedia.org/wiki/Ashkenazi_Jews
(2) Ibid.
(3) Ibid.

ثانيًا: دور الاستشراق في صناعة إسرائيل وتأسيسها

في دراسة إسرائيل عادة ما يركز الدارسون العرب على التاريخ السياسي، ودور العوامل السياسية مع إهمال كبير للعوامل الأخرى وأهمها دور الاستشراق في صناعة إسرائيل. ويتمثل دور الاستشراق في البناء الفكري والثقافي للمجتمع اليهودي الناشئ في فلسطين المحتلة. وأهم عنصر من عناصر البناء الفكري والثقافي هو عنصر اللغة. وكان السؤال المطروح هو ما هي اللغة التي سيتحدث بها اليهود المهاجرون من كل بلاد العالم إلى فلسطين؛ حيث أحدث الشتات السياسي شتاتًا لغويًا، فكل أقلية يهودية تحدثت بلغة البلد الذي عاشت فيه. وقد قام الاستشراق اليهودي بعلاج هذا الشتات اللغوي وجمع المهاجرين اليهود على لغة واحدة. وتم اختيار اللغة العبرية كلغة موحدة للشتات اليهودي في فلسطين من خلال جهود الاستشراق في إحياء اللغة العبرية وتحويلها من لغة دينية وعظية في العصور الوسطى إلى لغة حديث وكتابة للمجتمع اليهودي المهاجر إلى فلسطين. وكان إحياء اللغة العبرية عملا استشراقيًا من الطراز الأول؛ لأنه تطلب إعادة بناء اللغة العبرية، وتحقيق استقلالها عن اللغات التي تداخلت معها في بلاد الأقليات اليهودية في العالم، واستقلالها أيضًا عن اللهجات اليهودية التي تطورت في بلاد الشتات وأهمها لهجة اليديش المتداخلة مع اللغة الألمانية، ولهجة اللادينو المتداخلة مع اللغة الإيطالية، كما استقلت أيضًا عن اللهجات اليهودية المتداخلة مع اللغة العربية تحت مسمى اللهجة اليهودية العربية، ومع اللغة الفارسية باسم اللهجة اليهودية الفارسية. والاستقلال عن لغة العهد القديم رغم الاعتماد عليها في بناء العبرية الحديثة[١].

بالإضافة إلى إحياء اللغة العبرية، كان على الاستشراق اليهودي الصهيوني أن يصنع تاريخًا قديمًا لليهود، وهو تاريخ متخيل يهدف إلى تهويد فلسطين، وتأصيل الوجود اليهودي فيها من خلال عمليات تزييف تاريخية ذات بعدين: الأول طمس الهوية العربية لفلسطين، والثاني اختلاق تاريخ قديم لليهود في فلسطين. وهذه عملية قام بها المؤرخون وعلماء الجغرافيا اليهود، ولا تزال سارية حتى الآن من خلال عمليات التنقيب في فلسطين للبحث عن آثار تدل على هذا الوجود المتخيل ومن بينها عمليات التنقيب في مدينة القدس وتحت المسجد الأقصى، وجزء من هذا العمل التنقيبي الآثاري يهدف إلى طمس الآثار الفلسطينية خاصة والعربية عامة التي تواجدت عبر عصور فلسطين المختلفة. وقد عمد المؤرخون اليهود إلى إعادة كتابة تاريخ فلسطين لكي يبدو وكأنه تاريخ يهودي على حساب الأصول العربية، وإطلاق أسماء يهودية على كل المناطق في كل المدن الفلسطينية، وتسمية فلسطين بأسماء يهودية أبرزها يهودا والسامرة، وتسمية الشوارع والحارات والمؤسسات بأسماء عبرية. وقد أطلق العلماء الموضوعيون على هذه العملية الاستشراقية الكبرى عنوان «اختلاق إسرائيل» أي خلق شيء لم يكن له وجود في أكبر عملية تزييف في التاريخ[٢].

(١) عمر صابر عبد الجليل، «نقل المصطلحات الأوروبية في علم اللغة إلى اللغة العبرية الحديثة». في مجلة رسالة المشرق، مركز الدراسات الشرقية، جامعة القاهرة، المجلد السادس، ع. ١-٤، ١٩٩٧م، ص. ٥٢٨-٥٦٠.

(٢) كيث، وايتلام، اختلاق إسرائيل القديمة: إسكات التاريخ الفلسطيني، ترجمة سحر الهنيدي (الكويت: سلسلة عالم المعرفة، العدد ٢٤٩، ١٩٩٩م)؛

يوضح فاضل الربيعي الدور الاستشراقي في تأسيس إسرائيل بقوله: «لم تولد إسرائيل من خطيئة، كما قال المؤرخون الجدد في إسرائيل وحسب، بل وُلدت من خيال استشراقي سقيم، ومن كذبة كبرى تسببت في جريمة قد يستحيل غفرانها، أو نسيانها؛ لتعيش قدرها المحتوم كنموذج لمجتمع استشراقي سينمو ويترعرع روحيًا وثقافيًا بقوة التخيل وحده». على هذا النحو تم اختراع تاريخ قديم لإسرائيل قديمة في فلسطين. وقد صرح المؤرخون الجدد في إسرائيل في رد فعل على كتاب «الاستشراق» لإدوارد سعيد: «يا إلهي إننا حقًا نعيش في مجتمع استشراقي [...] إن هذا المجتمع قام ونشأ وتبلور على أساس تخيل أن وطنه التاريخي هو في فلسطين، وليس في أي مكان آخر [...] تاريخيًا، نشأت إسرائيل بفضل قوة التخيل الاستشراقي (الاستعمار للشرق)، وبفعل قوة تخيل فلسطين في الكتابات الاستشراقية كوطن تاريخي لليهود ضاع من أيديهم، وآن الأوان لاسترجاعه وتحويل قضية استرداده إلى قضية حركة تحرر وطني، لا قضية احتلال أرض شعب آخر»[1].

ويؤكد الربيعي الدور الاستشراقي في صناعة إسرائيل قائلًا: «كانت الماكينة الاستشراقية تعمل بكل طاقتها للبرهنة على أن فلسطين الراهنة هي إسرائيل القديمة»، ويطلق الربيعي على إسرائيل لقب (إسرائيل الاستشراق) التي قامت على أساس تخيل نفسها في صورة فلسطين استردت لأجل بناء صورة تنتسب إلى الماضي المقدس والأسطوري ونتواصل معه[2]، ويضيف: «إنها نموذج فريد للدولة الاستشراقية التي بزغت للوجود بفضل قوة التخيل الاستعماري... إن إسرائيل امتداد ثقافي وروحي للغرب، وكانت إلى النهاية نتاج الاستشراق ومن ثماره»[3].

ثالثًا: توظيف الاستشراق لخدمة الأهداف اليهودية

اهتم اليهود اهتمامًا كبيرًا بالدراسات العربية والإسلامية فوظفوا الاستشراق لخدمة الأهداف اليهودية والصهيونية والإسرائيلية وفقًا لمراحل الاستشراق اليهودي المختلفة. ولقد تفوق اليهود في الدراسات العربية والإسلامية تفوقًا كبيرًا أدى إلى إحكام السيطرة على هذا التخصص وتوجيهه الوجهة التي تخدم المصالح اليهودية.

ومن مظاهر التفوق اليهودي في مجال الاستشراق الشهرة العلمية التي اكتسبها المستشرقون اليهود، واعتماد المستشرقين النصارى عليهم بل وتغلغلهم في مجال الدراسات العربية والإسلامية، وللأسف اعتماد بعض الدارسين العرب والمسلمين على آرائهم وتأثرهم بأفكارهم. ومن هذه المظاهر أيضًا، الحضور اليهودي والإسرائيلي البارز في مؤتمرات الاستشراق العالمية والدولية والإقليمية، والإسهامات اليهودية الواضحة في تنظيم هذه المؤتمرات، وإدارتها،

وانظر أيضًا: توماس ل. تومسون، أسفار العهد القديم في التاريخ: اختلاق الماضي، ترجمة عبد الوهاب علوب، مراجعة محمد خليفة حسن (القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، العدد ١٨٥، ٢٠٠٠م).

(١) فاضل الربيعي، ما بعد الاستشراق: الغزو الأمريكي للعراق وعودة الكولونيالات البيضاء (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٧م).

(٢) المرجع السابق، ص. ١٧٢.

(٣) المرجع نفسه، ص. ١٧٤.

والمشاركة العلمية بها وفي المناقشات والمداخلات. ويتضح هذا التفوق أيضًا في تأسيس دوائر المعارف الإسلامية، والمساهمة في كتابة العديد من المواد المهمة التي تقدم رؤية يهودية للموضوع تمتلئ بإثارة الشبهات وبالأخطاء المعتمدة على المستويات الدينية والتاريخية. ومن بين مظاهر التفوق السيطرةُ الواضحة للعلماء اليهود والإسرائيليين على مراكز بحوث الشرق الأوسط ومراكز الدراسات العربية والإسلامية التابعة للجامعات الأوروبية والأمريكية، وانتشار العلماء اليهود في الجامعات والمؤسسات العلمية والسياسية والاقتصادية والعمل فيها كخبراء وبخاصة في مجال الإعلام في الإذاعات والقنوات التلفزيونية ووسائل الاتصال الحديثة، والسيطرة فيها على مجالات الشؤون العربية والإسلامية، والانتشار في وزارات الخارجية والمؤسسات الدولية ومؤسسات الأمم المتحدة، كما يوجد انتشار للعلماء اليهود والإسرائيليين في الجامعات الأوروبية والأمريكية وبخاصة في أقسام الدراسات السياسية والعلاقات الدولية واللغة العربية واللغات السامية، والدراسات الدينية المقارنة، وأقسام دراسات الشرق الأوسط فضلًا عن التواجد الكبير في المؤسسات الثقافية والمتاحف المتخصصة والمكتبات العالمية والجامعية[١]. ومن مظاهر التفوق اليهودي والإسرائيلي الانتشار الواسع في أقسام التاريخ والآثار والتواجد القوى في مجال التنقيب عن الآثار وبخاصة في منطقة الشرق الأوسط وفلسطين، والمشاركة القوية في معظم البعثات الآثارية التابعة للدول والجامعات الغربية والأمريكية، والعمل في المتاحف الشرقية في أوروبا وأمريكا كأمناء متاحف وباحثين بالإضافة إلى انتشارهم في مجال الأعمال الأثرية والتحف الشرقية والمخططات الشرقية[٢].

ومن أسباب التفوق اليهودي والإسرائيلي في مجال الدراسات العربية والإسلامية معرفةُ اليهود بالعالم العربي منذ ظهور الإسلام ووجودهم كأقليات يهودية في البلاد الإسلامية. هذا الوجود المستمر لليهود في العالم العربي منذ ظهور الإسلام مكّن اليهود من معرفة العرب والمسلمين عن قرب ودرايتهم بالتقاليد العربية، واستخدامهم للغة العربية كلغة حديثٍ وكتابة بل ولغة دين، فتكونت القدرة على فهم المجتمعات المسلمة وتحليل الموضوعات العربية والإسلامية ونقد الإسلام والثقافة الإسلامية، وصناعة الشبهات حول الإسلام والمسلمين.

وقد ساعد الشتات اليهودي على تنوع المعرفة اليهودية بالبلاد الإسلامية وتعميق المعرفة بها، ومعرفة لغاتها ولهجاتها، والتمكن من التغلغل في البيئة الإسلامية وغزوها فكريًا من خلال تطوير الإسرائيليات وصناعة الشبهات. لقد جعل الشتات اليهودي خبيرًا في شؤون العالم العربي والإسلامي بعد اندماجه في هذا العالم وتمتعه بالتسامح الإسلامي الذي مكنهم من التعايش مع المسلمين والتواصل مع الحضارة الإسلامية واكتسابهم خبرة عميقة في المجالات العربية والإسلامية.

(١) محمد خليفة حسن، «المدرسة اليهودية في الاستشراق»، مجلة رسالة المشرق، مركز الدراسات الشرقية، جامعة القاهرة، المجلد الثاني عشر، الأعداد ١-٤، القاهرة ٢٠٠٣م، ص. ١٦-١٧.

(٢) المرجع السابق، ص. ١٦.

لقد ساعد الشتات اليهودي على الحياة في الشرق والغرب والمعرفة بالمعارف الشرقية والغربية؛ الأمر الذي أدى إلى تفوقه في الاستشراق والاستغراب معًا. ويُضاف إلى الشتات العمل اليهودي بالتجارة في الشرق والغرب، وتكوين خبرة قوية ساعدته على فهم المجتمعات العربية والإسلامية[1]، والتعمق في الدراسات المرتبطة بها متسلحًا باللغات واللهجات التي عرفها ومكنته من الرجوع إلى المصادر الإسلامية واستخدامها.

ولقد لعب التراث اليهودي العربي دورًا قويًا في اهتمام اليهود بالثقافة العربية عامة وبالثقافة اليهودية المكتوبة باللغة العربية خاصة. ويُعتبر عصر ازدهار الثقافة اليهودية باللغة العربية في مراكز الحضارة العربية المعروفة في بغداد والقاهرة ودمشق وفي اليمن والأندلس. وتعدّ البيئة الثقافية الإسلامية هي البيئة التي تكوَّن فيها التراث اليهودي في العصر الوسيط، وأصبحت معرفة اللغة العربية والثقافة الإسلامية ضرورة لفهم هذا التراث اليهودي، وهي نفس البيئة التي تكوَّن فيها التراث التلمودي في بابل وفلسطين مُنتجًا التلمود البابلي والتلمود الفلسطيني والكتابات الكلامية الرئيسية مثل كتابات سعديا الفيومي وموسى بن ميمون وغيرهما من علماء الكلام اليهودي الذي وُضع على أساس علم الكلام الإسلامي، وأعاد صياغة الثقافة اليهودية في ضوء الثقافة الإسلامية.

ولا نُهمل هنا وضع اللغة العبرية كلغة وسيطة بين العربية واللاتينية؛ حيث لعبت دور الوسيط اللغوي بين اللغتين في العصور الوسطى، فعمل اليهود على ترجمة التراث العلمي الإسلامي إلى اللغة العبرية ونقل هذا التراث من العبرية إلى اللاتينية، وكان اليهود حلقة الوصل بين الثقافة العربية والغرب.

ويُضاف إلى هذه الأسباب السابقة للتفوق اليهودي في الاستشراق الإحساس اليهودي والصهيوني بأهمية الاستشراق في تحقيق المصالح اليهودية والصهيونية في العصر الحديث. وتظهر أهمية الاستشراق في كونه يدرس الشرق عامة والعالم الإسلامي خاصة. وقد وظفه الاستعمار من قبلُ في تيسير العملية الاستعمارية ومدها بالمعرفة اللازمة لتحقيق احتلال الدول العربية ووظفته الحركة الصهيونية لاحتلال فلسطين. وقد نجح اليهود في حسن استغلال المرحلة الاستعمارية بالتعاون مع الاستعمار والتغلغل معه في البلاد العربية والإسلامية[2]، ونشطت حركة الهجرة اليهودية إلى فلسطين بالتآمر مع الاستعمار واستعد اليهود لكي يكونوا البديل الاستعماري بعد انتهاء الانتداب البريطاني. لقد ساعد الاستعمار الغربي اليهود على التغلغل في المجتمعات العربية ودراسة هذه المجتمعات من أجل السيطرة عليها.

وبعد قيام إسرائيل أصبحت هناك قاعدة للاستشراق الصهيوني والإسرائيلي، وأصبح الكيان الصهيوني حلقة وصل بين المستشرق اليهودي العام والمستشرق الإسرائيلي، والكل يسعى إلى تحقيق الأهداف الصهيونية وتأصيل الوجود اليهودي في فلسطين، واختلاق النظريات التاريخية المزيفة لإثبات دعوى الحقوق التاريخية والدينية لليهود في فلسطين.

(١) المرجع نفسه، ص. ١٩.
(٢) المرجع نفسه، ص. ٢٦.

رابعًا: أقسام الاستشراق اليهودي

يتضح من العرض السابق أننا أمام ثلاث مراحل للاستشراق اليهودي: المرحلة اليهودية العامة وتغطي التاريخ اليهودي منذ ظهور الإسلام وحتى العصر الحديث دون انقطاع تطور فيها استشراق يهودي عام، ثم تطور الاستشراق اليهودي منذ ظهور الحركة الصهيونية وتكوّن ما يسمى بالاستشراق الصهيوني مع استمرار الاستشراق اليهودي العام، وبعد ظهور إسرائيل عام ١٩٤٨م تطور الاستشراق الإسرائيلي مع استمرار الاستشراق اليهودي والصهيوني.

ولكل مرحلة من مراحل الاستشراق اليهودي والصهيوني والإسرائيلي أهدافه الخاصة التي فرضتها ظروف المرحلة مع الالتقاء عند أهداف يهودية عامة ومشتركة.

ومن أهم أهداف الاستشراق اليهودي العام الدفاعُ العقدي عن اليهودية للرد على ما ورد في القرآن الكريم والحديث النبوي من نقد للديانة اليهودية وللتوراة وبقية أسفار العهد القديم، وأيضًا نقد الشخصية اليهودية وصفاتها السلبية الواردة في القرآن الكريم وفي المصادر الإسلامية المختلفة بما في ذلك النقد الأخلاقي وإبراز الصفات الأخلاقية السلبية للشخصية اليهودية. ويعتبر هذا الجانب العقيدي والأخلاقي من أهم أسباب نشأة الاستشراق اليهودي وتطوره عبر العصور. وقد طور الاستشراق اليهودي العام عددًا من الدعاوى والشبهات للدفاع عن اليهودية من بينها دعوى الأصل اليهودي للإسلام والأصل التوراتي والتلمودي للقرآن، وأن الإسلام ليس دينًا أصيلا وهو أقرب إلى أن يكون فرقة منشقة على اليهودية. ويظهر هنا هدف تشويه الإسلام كدين برده إلى أصول يهودية، وتوظيف وسائل لتحقيق هذا التشويه من خلال عمليات الغزو الفكري اليهودي للإسلام. ومن أهم مظاهر هذا التشويه قديمًا الإسرائيليات التي غزت الفكر الإسلامي، وظهور بعض الفرق الإسلامية المتأثرة بالفكر اليهودي، كما ظهر هذا حديثًا في تغلغل الفكر العلماني والأفكار الاستشراقية عند بعض الباحثين المسلمين الذين تربوا على الفكر الاستشراقي الحديث وتتلمذوا على بعض المستشرقين اليهود في العصر الحديث.

ومن أهم أهداف الاستشراق اليهودي الحديث استعادة الأوضاع السياسية والاقتصادية لليهود في العالم الإسلامي، والتمكين لليهود في فلسطين، وتضخيم الدور اليهودي في الحضارة الإسلامية، ورد منجزات الحضارة الإسلامية إلى عناصر أجنبية من بينها العنصر اليهودي.

ومن بين أهداف الاستشراق اليهودي تحقيق الأطماع اليهودية في أرض فلسطين وتوظيف علمي التاريخ والآثار لخدمة هذا الهدف وابتداع النظريات التاريخية المزيفة للتشكيك في عروبة فلسطين والقول بالأحقية التاريخية والدينية لليهود فيها، وإعادة كتابة تاريخ فلسطين بما يناسب أهداف التزييف واختلاق إسرائيل.

ومن الأهداف الكبرى للاستشراق اليهودي تحقيق تغريب العالم الإسلامي بالمشاركة مع المستشرقين النصارى في

غزو الثقافة العربية ومساعدة الغرب في تحقيق الغزو الفكري الغربي للعالم الإسلامي وإدخاله في الحضارة الغربية من خلال نشر الأيديولوجيات الغربية الحديثة وعلى رأسها العلمانية من أجل إضعاف الإسلام وإبعاد المسلمين عن دينهم وحضارتهم.

وهناك جيش من المستشرقين اليهود العاملين في مجال الدراسات العربية والإسلامية، والمؤثرين في مسيرة هذه الدراسات في الجامعات والمؤسسات الغربية، وأصحاب التأثير السلبي الكبير على العلماء المسلمين الباحثين في هذا المجال.

خامسًا: أهم موضوعات الاستشراق اليهودي

اشتغل المستشرقون اليهود في كل مجالات الدراسات العربية والإسلامية. ومن أهم تلك المجالات الدراساتُ الخاصة بالعقيدة الإسلامية، والدراسات القرآنية، ودراسات الحديث النبوي، والتاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية. كما اهتم المستشرقون اليهود بالعلاقات اليهودية والإسلامية. ومن أهم الكتب التي عالجت موضوع العلاقات مع الإسلام والمسلمين كتاب أبراهام جايجر باللغة الألمانية بعنوان: «ماذا أخذ محمد من اليهودية»[١]، وقد ترجمه يونج (F.M.Young) إلى اللغة الإنجليزية في مدراس بالهند عام ١٩٨٨م، وهو من الكتابات الكلاسيكية في مسألة التأثير اليهودي في الإسلام. وفي عام ١٨٧٥م وضع المستشرق اليهودي جاستفروبند كتابًا عن التأثير التلمودي والمدراش بعنوان: «محمد والتلمود والمدراش»[٢]. وفي عام ١٩٣٣م أصدر تورى كتاب: «الأساس اليهودي للإسلام»[٣]. وأصدر إبراهام كاتش كتاب: «اليهودية في الإسلام»[٤]. ويبحث في الخلفيات التوراتية والتلمودية للقرآن وتفاسيره حسب العنوان الفرعي للكتاب. وكتاب ألفرد جيوم «تأثير اليهودية على الإسلام»[٥].

وكتب روزنتال كتاب «اليهودية والإسلام»[٦]، وألف هيرشفيلد كتاب: «عناصر يهودية في القرآن ١٨٧٨م» باللغة الألمانية[٧]، وكتب بارث كتاب «عناصر مدراشية»[٨]، كما ألف جوستاف فيل كتاب: «الكتاب المقدس، القرآن والتلمود»[٩]. وكل هذه الكتب وغيرها تسعى إلى رد الإسلام والقرآن إلى أصول يهودية بهدف تشويه أصالة الإسلام وربطه باليهودية ومصادرها المختلفة.

---

(1) *Was hat Muhamed aus dem Judenthume aufgenommen?* (Bonn, 1883).
(2) I.Gastfreund, *Mohammed nach Talmud and Midrash* (Berlin, 1865).
(3) Ch.C.Torrey, *The Jewish Foundation of Islam* (New York, 1933).
(4) Abraham Katsh, *Judaism in Islam, Biblical and Talmudic Backgrounds of the Koran and Talmudic Backgrounds of the Koran and its Commentaries* ((New York: Sopher, Hermon Press, 1952).
(5) A. Guillaume, "The Influence of Judaism on Islam" in, *The Legacy of Israel ed*., by Bevan and Singer (Oxford, 1925).
(6) Erwin J,Rosenthal, *Judaism and Islam* (London, 1961).
(7) H.Herschfeld, *Judische Elemente in Koran* (Berlin, 1878).
(8) J.Barth, *Midraschische Elemente* (Berlin, 1903).
(9) Gustav Weil, The Bible, the Koran and the Talmud ((New York, 1846).

وتناولت بعض الدراسات اليهودية الأخرى موضوع العلاقات اليهودية العربية[١]. ومن أهمها كتاب مرجوليوث «العلاقات بين العرب والإسرائيليين قبل ظهور الإسلام»[٢]، وكتاب دوزى «الإسرائيليون في مكة»[٣]. ومن بينها أيضًا كتاب جوتاين: «اليهود والعرب»[٤]. وكتب إسرائيل ولفنسون باللغة العربية: «تاريخ اليهود العرب في الجاهلية وصدر الإسلام»، القاهرة ١٩٢٧م.

واهتم المستشرقون اليهود أيضًا بدراسة الأوضاع اليهودية في العالم الإسلامي على المستويات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية مركزين على الدور اليهودي في البلاد الإسلامية، ووضع الأقليات اليهودية والحياة الدينية للفرق اليهودية، وصراعها مع بعضها البعض، وتأثرها بالإسلام، وتأثيرها في بعض الفرق الإسلامية، ودراسة مصادر اليهودية وفرقها باللغة العربية وباللغة اليهودية العربية واليهودية الفارسية، وتحقيق المخطوطات العبرية التي تركها يهود العالم الإسلامي، والوثائق اليهودية مثل وثائق الجنيزا بالقاهرة، والفكر اليهودي المدون باللغة العربية.

سادسًا: مرحلة الاستشراق الصهيوني والإسرائيلي

بعد ظهور الصهيونية وقيام إسرائيل، تطورت اهتمامات يهودية جديدة للاستشراق اليهودي مع الاحتفاظ بالاهتمامات الاستشراقية اليهودية العامة واستمرارها إلى جانب المرحلتين الجديدتين. والحقيقة، أن الاستشراق اليهودي العام هو الاستشراق الأم الذي ركز على موضوعات الدين والعقيدة، بينما أضاف الاستشراق الصهيوني موضوعات صهيونية تتفق مع المرحلة الصهيونية، وأضافت المرحلة الإسرائيلية موضوعات تتناسب مع المرحلة الإسرائيلية مع بقاء الموضوعات التقليدية التي ارتبطت بالاستشراق اليهودي العام. ويمكن القول بأن هناك مستشرقا يهوديًا، ومستشرقًا صهيونيًا، ومستشرقًا إسرائيليًا مع ضرورة الاعتراف بالتداخل بين هذه المسميات وبإمكانية جمع مستشرق واحد للمسميات الثلاثة معًا. ويظهر هذا في مستشرقي المرحلة الإسرائيلية فهو إسرائيلي الموطن، وصهيوني الاتجاه وهو أصلا يهودي. وبهذا فهو يجمع بين المراحل الثلاث في اهتماماته الاستشراقية.

فالمستشرقون الإسرائيليون الآن يجمعون كل هذه المراحل في استشراقهم؛ فهم أولا يهود يهتمون بالموضوعات اليهودية الواردة في الاستشراق اليهودي العام، وهم صهاينة وإسرائيليون أضافوا إلى الاستشراق اليهودي العام الاهتمامات الصهيونية الخاصة، والاهتمامات الإسرائيلية الخاصة. ولا تمثل لغة الاستشراق هنا مشكلة. فالمستشرقون اليهود يكتبون بكل اللغات العالمية، وتُضاف اللغة العبرية الحديثة كلغة استشراق جديدة يستخدمها المستشرقون الإسرائيليون بالإضافة إلى اللغات الأخرى، ويستخدمها من يعرفها من المستشرقين اليهود والصهاينة. وعلى كل

(١) حميد دباشي، «إغناتس غولد تزيهر ومسألة الاستشراق» في كتاب: ما بعد الاستشراق: المعرفة والسلطة في زمن الإرهاب، ترجمة باسل عبد الله وطفه، مراجعة حسام الدين محمد (ميلانو: منشورات المتوسط، ٢٠١٥)، ص. ٤٥–٤٦.

(2) D.S.Margoliouth, *The Relations Between Arabs and Israelites Prior to the Rise of Islam* (London, 1924).

(3) R.Dozy, *Die Irsaeliten Zu Makka* (Leipzig, 1864).

(4) S.D.Goitein, *Jews and Arabs* ((New York: Schocken Books, 1955).

الاستشراق اليهودي ليست له لغة واحدة أو محددة للكتابة. فالمستشرقون المنتمون إلى مدارس الاستشراق الأوروبية يكتبون بلغات هذه المدارس الإقليمية للاستشراق مثل المدارس الأوروبية (الإنجليزية، والفرنسية، والألمانية، والإسبانية، والإيطالية، والبرتغالية وغيرها). وعادة ما يكون المستشرقون اليهود متعددي اللغات ولديهم القدرة على الكتابة بأكثر من لغة. وهذا يعود إلى تأثير ظاهرة الشتات اليهودي التي خلقت شتاتًا لغويًا. والكتابة بأكثر من لغة تعد ميزة اكتسبها المستشرق اليهودي دون غيره.

وقد طبعت المرحلة الصهيونية الاستشراق اليهودي بطبيعة خاصة حددت له أهدافًا معينة، ووضعت له استراتيجية خاصة، كما رسمت له البرامج والخطط التنفيذية. وقد تجاوز الاستشراق الصهيوني المرحلة النظرية التي اتسم بها الاستشراق اليهودي العام. فقد اندمج المستشرقون الصهاينة في السياسة الصهيونية وساروا على البرامج العلمية التي وضعتها الصهيونية والمرتبطة بتحقيق هدف إنشاء ما يسمى بالوطن القومي لليهود وما يتطلبه ذلك من برامج تنفيذية تهدف إلى تأسيس الكيان الصهيوني على مستوى برامج الهجرة إلى فلسطين، وبرامج إحياء اللغة العبرية وتحويلها إلى لغة الكتابة والعلم والحديث في إسرائيل، بالإضافة إلى التأسيس التاريخي والجغرافي والثقافي للكيان الصهيوني.

ويمكن تلخيص موضوعات الاستشراق الصهيوني في التالي:

- الدراسات السياسية والدبلوماسية والاقتصادية التي تخدم المصالح والأطماع الصهيونية في فلسطين.
- الدراسات التاريخية والآثارية والجغرافية التي تؤصل للوجود اليهودي في فلسطين، والأعمال التي يتم بها تزييف التاريخ اليهودي القديم، وجعل فلسطين بلدًا يهوديًا، وإضعاف الوجود الفلسطيني القديم، والعمل على طمسه بكل الوسائل الممكنة.
- الدراسات المرتبطة بالمجالات العلمية وتحويل اللغة العبرية بعد إحيائها إلى لغة للعلم الحديث ولغة للأدب العبري الحديث.
- دراسة المجتمعات العربية والإسلامية ومتابعة أوضاعها السياسية والعسكرية والاقتصادية باعتبارها البيئة المحيطة بالوطن اليهودي المراد إنشاؤه.
- دراسة الشخصية الفلسطينية والأوضاع الفلسطينية المختلفة، واللهجات الفلسطينية، والأدب والفنون الفلسطينية، ويمكن أن يطلق على هذه الاهتمامات دائرة الدراسات الفلسطينية. وقدمت هذه الدائرة تغطية شاملة للمجتمع الفلسطيني وأوضاعه السياسية، والدينية، والاقتصادية، والجغرافية، والاجتماعية والنفسية.
- دراسة الشخصية العربية والمجتمع العربي المحيط بفلسطين. وقد توزع المستشرقون الصهاينة للتخصص في البلاد العربية المختلفة أو في الدراسات الإقليمية التي تتناول عددًا من البلاد العربية داخل مجال جغرافي معين، مثل بلدان الشرق الأوسط، وبلدان الشمال الأفريقي أو المغرب العربي، وبلدان الجوار التي تشتمل على سوريا ولبنان

والأردن ومصر أو ما كان يسمى بدول المواجهة.

- دراسة المجتمع الإسلامي غير المتحدث بالعربية والمرتبطة دينيًا بالعالم العربي، والمتوقع منه أن يتخذ موقفًا مناصرًا للقضية الفلسطينية.
- البناء الديني والفكري للكيان الصهيوني، وهو الدور الكبير الذي لعبه الاستشراق الصهيوني لخلق أو احتلال بلد يبدو موحدًا في لغته وثقافته وفكره لمواجهة الفرقة الداخلية التي فرضها الشتات اليهودي وما خلقه من اختلافات لغوية واجتماعية وإثنية.
- الدراسات الخاصة بالهجرة اليهودية والتي تطلبت من الاستشراق الصهيوني دراسة أوضاع الأقليات اليهودية في العالم، وتنظيم الهجرة اليهودية إلى فلسطين من كل بلاد العالم.

سابعًا: موضوعات الاستشراق الإسرائيلي

يبدأ هذا الاستشراق بقيام إسرائيل عام ١٩٤٨م، وهو بطبيعة الحال امتداد للاستشراق الصهيوني، وارثًا لأهدافه وموضوعاته ومحتفظًا بالروابط التقليدية مع الاستشراق اليهودي العام. وصلة الاستشراق الصهيوني بالاستشراق الإسرائيلي صلة عضوية. ولعل الفارق الرئيس في درجة التركيز على بعض الموضوعات المشتركة التي أسسها الاستشراق الصهيوني أصلًا، وأيضًا في إضافة بعض الموضوعات الجديدة التي أتت بها المرحلة الإسرائيلية، وهي مرتبطة في الغالب بأوضاع يهود إسرائيل التي لم يكن لها وجود في المرحلة الصهيونية. ويمكن أن نضيف فارقًا جديدًا وهو يختص بلغة الاستشراق في المرحلة الإسرائيلية؛ حيث برزت اللغة العبرية الحديثة كلغة جديدة للاستشراق الإسرائيلي تُضاف إلى اللغات الأخرى مثل اللغات الأوروبية المختلفة في أوروبا الغربية وأوروبا الشرقية فلقد نمت اللغة العبرية الحديثة، وتطورت تطورا كبيرًا في المرحلة الإسرائيلية، وأصبحت مؤهلة لأن تكون لغة الاستشراق الجديد في إسرائيل.

ومن أهم موضوعات الاستشراق الإسرائيلي:

- تأصيل الوجود الإسرائيلي في فلسطين من خلال توظيف علوم التاريخ والجغرافيا والأنثروبولوجيا وعلم الآثار. وقد أصبح توظيف هذه العلوم لخدمة الأهداف الصهيونية والإسرائيلية سهلًا وميسورًا بعد احتلال فلسطين بالكامل.
- الدراسات الخاصة بتهويد فلسطين وتحويل البلد إلى بلد يهودي، وبخاصة عن طريق الاستيطان في المناطق الفلسطينية الجديدة وإعطائها صبغة يهودية خالصة ومحو كل ما يدل على أصلها الفلسطيني.
- إعادة كتابة تاريخ فلسطين عبر العصور ليتحول إلى تاريخ يهودي وطمس الهوية العربية لفلسطين.
- التكوين الثقافي والفكري لإسرائيل، وبناء الشخصية الإسرائيلية على أسس جديدة تميزه عن الشخصية اليهودية

العامة، وحتى عن الشخصية الصهيونية البحتة التي تربت خارج إسرائيل[1].

- تهويد فلسطين والقدس، والعمل على وضع سياسات عزل الفلسطينيين عن العرب، ومحاولة فصلهم عن المجتمع الإسرائيلي، وعدم السماح لهم بالاندماج في المجتمع الإسرائيلي.
- دراسة المجتمع الفلسطيني والشخصية الفلسطينية واللهجات الفلسطينية والعادات والتقاليد وكل ما يساعد على فهم المجتمع الفلسطيني والسيطرة عليه سيطرة تامة لا تعتمد فقط على السياسة والعسكرية ومسائل الأمن ولكن تتجاوز ذلك إلى معرفة الشخصية وتحليلها نفسيًا ومعرفة لهجاتها وأدبها وفنونها.
- التوظيف القومي للاستشراق، وتجاوز الدراسات الاستشراقية العامة إلى الدراسات القومية التي تخدم الهوية الإسرائيلية في مواجهة الهوية الفلسطينية.
- الدراسات الخاصة بالمجتمع الإسرائيلي في الداخل، وبخاصة الصراع الداخلي بين الفرق الدينية وبين الأحزاب، والعرقيات الداخلية.
- الدراسات الخاصة بالتراث اليهودي في إسرائيل.

ثامنًا: الاستغراب الإسرائيلي

يقدم الاستغراب رؤية شرقية عن الغرب، كما قدم الاستشراق من قبل رؤية غربية عن الشرق. وفي ظل هذا التعريف المختصر للاستشراق والاستغراب نجد أن الموقف الإسرائيلي يصعب تحديده، كما يصعب تحديد علاقة إسرائيل بالاستشراق والاستغراب. هل إسرائيل بلد استشراقي بحكم وجوده في الشرق جغرافيًا؟ وهل هذا الوجود أصيل أم أنه وجود مفتعل لا يجعل من إسرائيل بلدًا شرقيًا يخلق استغرابًا؟ أم أنه لا يزال غربيًا ويخلق استشراقًا، أم أنه يجمع بين الضدين فينتج استشراقًا واستغرابًا في نفس الوقت.

الحقيقة أن إسرائيل غلبت عليها الروح الغربية فاستمرت في إنتاج الاستشراق، وفصلت نفسها عن الفلسطينيين وعن العرب مثلها مثل المستشرقين، واستخدمت طرق المستشرقين، وطورت المعرفة كقوة تحقق بها سيطرتها على العرب والفلسطينيين تمامًا كما فعل الاستشراق حسب رؤية إدوارد سعيد في توظيف المعرفة لتحقيق القوة والسيطرة على شعوب الشرق.

وإذا كان إنتاج إسرائيل للاستشراق يتواءم مع طبيعتها وروحها الغربية فإن الغريب هو إنتاج إسرائيل للاستغراب. ففي إنتاجها للاستغراب يبدو الأمر وكأن إسرائيل تدرس ذاتها، فأصولها الغربية يجعل استغرابها بحثًا عن الذات. ومن الطبيعي أن تكون إسرائيل أقدر على دراسة الغرب من العرب والفلسطينيين فهي مؤهلة لفهم المجتمعات الغربية والأمريكية أكثر من استعداد العرب والفلسطينيين للوصول إلى هذا الفهم خاصة وأن روابط إسرائيل بالغرب الأوروبي

(١) المدرسة اليهودية في الاستشراق، مرجع سابق، ص. ٦٩-٧٠.

والأمريكي روابط عضوية، ولا تزال الصلة الثقافية والعرقية والاجتماعية بالغرب موجودة وقوية؛ فإسرائيل لم تغير لغتها؛ إذ لا يزال الإسرائيليون يتحدثون في إسرائيل بعشرات اللغات الأوروبية على الرغم من اتخاذ العبرية لغة رسمية ويزداد الأمر تعقيدًا إذا نظرنا إلى حقيقة انقسام المجتمع الإسرائيلي، ومن قبله المجتمع الأوروبي، إلى سفارديم وأشكناز؛ أي إلى شرقيين وغربيين[١]. وقد حدث هذا الانشطار العرقي بسبب ظاهرة الشتات التي تحكمت في المجتمع اليهودي وقطعته إربًا بين الشرق والغرب.

وهذا الانقسام انقسام حقيقي على المستويات الثقافية والدينية والاجتماعية واللغوية والعرقية. وهو انقسام موروث انتقل إلى إسرائيل عن طريق الصهيونية التي كان هدفها الأساسي القضاء على ظاهرة الشتات اليهودي، وتوحيد اليهود ثقافيًا، واجتماعيًا، ولغويًا في كيان واحد يحقق هذه الوحدة المنشودة. والحقيقة أن الصهيونية فشلت في تحقيق هذا الهدف، ولا يزال الوضع اليهودي على ما هو عليه، بل وانتقلت صراعاته الموروثة على المستويات المذكورة إلى الكيان الصهيوني.

والمشكلة هنا تتضح في أن قسمة المجتمع الإسرائيلي إلى أشكناز وسفارديم تخلق موقفًا متضادًا من الاستشراق والاستغراب. بمعنى آخر أن لدينا فريقًا مستشرقًا بطبيعته، وهو فريق الاشكناز، وفريقًا مستغربًا بطبيعته وهو فريق السفارديم. والدلالة الجغرافية تجعل من الصعب تسمية السفارديم «مستشرقين»؛ لأنهم يعودون إلى البلاد الشرقية، كما يصعب تسمية الأشكناز «مستغربين»؛ لأنهم من أهل الغرب في الأصل وإن كانوا يعيشون في إسرائيل. ولكن يخلق هذا الانقسام استشراقًا واستغرابًا في نفس الوقت. ولعل هذا من أهم أشكال الصراع في إسرائيل. فنحن أمام مجتمعين مختلفين في كل شيء إلى الحد الذي يمكن لنا أن نقول إن لدينا استشراقًا داخليًا واستغرابًا داخليًا. فالمجتمع المنقسم عرقيًا وثقافيًا ينتج الشيء وضده في نفس الوقت. فالسفارديم هم موضوع استشراق بالنسبة إلى الأشكناز، والأشكناز موضوع استغراب بالنسبة إلى السفارديم.

تاسعًا: من أهم مراكز الاستشراق وحوار الأديان في إسرائيل[٢]

- جمعية الارتقاء بالتعليم الخاص بحوار الأديان.
- جمعية التعايش العربي اليهودي في تلال يهوذا.
- جسور إلى السلام.
- ج.ياحاد – مركز سيمنار التعددية في كبوتس ملكيا.
- مركز التعددية الدينية.

(١) محمد خليفة حسن، الشخصية الإسرائيلية: دراسة في توجهات المجتمع الإسرائيلي نحو السلام (القاهرة: مركز الدراسات الشرقية، جامعة القاهرة، سلسلة دراسات تاريخية ودينية، العدد ٢، ١٩٩٨)، ص. ٧٤؛ وانظر أيضًا: أفيفا أفيف، المجتمع الإسرائيلي، ترجمة محمد أحمد صالح، مراجعة محمد محمود أبو غدير (القاهرة: مركز الدراسات الشرقية، جامعة القاهرة، العدد ٦، ١٩٩٨)، ص. ٤٥.

(2) *The ICCI Guide to Interreligious Activities in Israel* (Jerusalem, 1995), p. 6-7.

- جمعية رجال الدين من أجل السلام.
- إخوة البحث المسكوني اللاهوتي في إسرائيل.
- الفيدرالية البروتستانتية الفرنسية.
- جفعت هفيفا: المركز اليهودي العربي للسلام.
- جمعية هرايل (جبل الرب) منتدى حوار الأديان.
- المعهد اليهودي العربي بالهستدروت – بيت بيرل عمر مصالحة.
- بيت النعمة: رئاسة كامل شحادة ويوفال شمشوم.
- بيت الأمل إرادة إلياس جبور.
- معهد دراسات الأرض المقدسة.
- السفارة المسيحية الدولية في القدس.
- (Interns) للسلام، الحاخام بروس كوهين[1].
- الكلية الإسلامية في البقاع الغربية، رئاسة الشيخ زياد زامل أبو موش.
- الملتقى الإسرائيلي، رئاسة د. كيتي كوهين.
- جمعية حوار الأديان الإسرائيلية، رئاسة يهودا ستولوف.
- المجلس الإسرائيلي اليهودي للعلاقات بين الأديان، رئاسة د. جيوفري وجودر.
- مركز العمل الديني الإسرائيلي، الحاخام أورى رجيف.
- مركز القدس لدراسات الشرق الأدنى، رئاسة د. كنت برون.
- معهد القدس للعلاقات بين الأديان والبحث، رئاسة د. إسرائيل ليبّل.
- مركز تعليم كبوتس لافى، رئاسة إسحاق سنتكوف.
- مركز ليو بك للتعليم المستمر في القدس، رئاسة جابريللا روبين.
- مركز ميلينس للالتقاء المسيحي بإسرائيل، رئاسة دانيل روسِّنخ[2].
- البيت المفتوح، رئاسة إسحاق لانداو وميخائيل فانوس.
- حاخامات من أجل حقوق الإنسان، رئاسة حاخام جيرمى مِلجروم.
- مركز كرتسيبون المسيحي للدراسات اليهودية، رئاسة إليو باسيتو[3].

(1) Ibid.
(2) Ibid.
(3) Ibid.

- معهد شالو هارتمان، رئاسة الحاخام تسفي ماركس.
- شيمش: هيئة الصداقة اليهودية العربية والتعايش في الجليل، رئاسة هاري رودس.
- شوتَفوت مشاركة (Partnership)، رئاسة أمير مَخول.
- أخوات صهيون، رئاسة سيركامي ماكدونالد.
- المعهد اللاهوتي السويدي، رئاسة القسيس آك سكوج.
- معهد تنتور المسكوني للدراسات اللاهوتية رئاسة تومر سترانسكي[1].
- مركز سيمنار، توفال، رئاسة هِدفا ليفانت وريتشارد مِليكي.
- المؤتمر العالمي للدين والسلام، رئاسة روبين تويتي المؤتمر اليهودي العالمي رئاسة أفي بيكر.
- الاتحاد العالمي لليهودية التقدمية، رئاسة الحاخام نعامة كِلمان.
- المنظمة الصهيونية العالمية، قسم العلاقات الخارجية، رئاسة سارة فليارمان.
- مركز ياكار التعليمي والثقافي، رئاسة الحاخام مئير روزن والحاخام دافيد زلر[2].
- سيمنار بناء الجسور في التعليم من أجل الفهم الديني البيني والتعايش العربي اليهودي في إسرائيل.
- مجلس التنسيق الديني الداخلي في إسرائيل، رئاسة الحاخام رون كرونش القدس.
- جمعية إسرائيل للحوار الديني.
- معهد هارتمان للسلام، رئاسة زفي ماركس.
- بني بيرث.
- معهد ترومان للسلام، الجامعة العبرية القدس.
- قسم مقارنة الأديان، الجامعة العبرية.

ومع الاعتراف بالأهداف الخاصة بهذه المراكز والمعاهد الإسرائيلية، فإن هناك أهدافًا عامة معلنة تجمع هذه المراكز حول قضية العلاقات الدينية البينية، ومسائل التعايش، وحوار الأديان، وترتبط هذه المراكز بانتماءات مختلفة منها ما هو يهودي خالص، ومنها ما هو صهيوني، ومنها ما هو إسرائيلي بحت، وبعضها يجمع بين الانتماءات اليهودية الصهيونية الإسرائيلية.

عاشرًا: من أهم الأهداف العامة لهذه المراكز والمعاهد

- الربط بين هذه المراكز والمعاهد في الداخل الإسرائيلي وتعزيز علاقاتها بالمراكز المناظرة في العالم.
- الارتقاء بالفهم الثقافي والديني البيني داخل إسرائيل وخارجها.

(1) Ibid.
(2) Ibid.

– تطوير الوعي الإسرائيلي وتنميته بشأن التطورات الحديثة في مجال العلاقات الدينية.
– دراسة تأثير الصراع العربي الإسرائيلي على العلاقات الدينية داخل إسرائيل.
– اتجاهات العلاقات الدينية البينية في الولايات المتحدة الأمريكية وتأثيرها على إسرائيل.
– دراسة القضايا الحديثة مثل الاتجاهات الحديثة في الصهيونية المعاصرة وتأثير العلمانية والأصوليات على العلاقات الدينية في إسرائيل.
– عقد المؤتمرات الخاصة بالحوار الديني بين اليهودية والمسيحية والإسلام ومع الديانات الشرقية.
– نشر وترجمة الوثائق الأساسية الخاصة بالعلاقات اليهودية المسيحية في الفترة المعاصرة.
– دراسة العلاقات الفاتيكانية الإسرائيلية وتطويرها.
– تبني مشروعات بناء الجسور مع الأديان ودعم الحوار اليهودي الإسلامي.

حادي عشر: طبيعة الاستغراب الإسرائيلي

هناك عدد من الملاحظات حول الاستشراق والاستغراب في إسرائيل، ومن أهم تلك الملاحظات الموضوعية والمنهجية ما يلي:

١- الدمج أو الخلط بين الاستغراب والاستشراق؛ إذ لا توجد حدود واضحة للاستغراب والاستشراق، وقد يجتمع الموضوعان في درس واحد أو باحث واحد، فيصبح مستشرقًا ومستغربًا في نفس الوقت. وبعود هذا الخلط إلى ظروف الشتات والتوزع اليهودي بين الشرق والغرب، كما أثر الواقع الجغرافي للأقليات اليهودية في العالم يجعلها منتمية إلى الشرق والغرب معًا. ويظهر هذا الأمر بوضوح في وضع إسرائيل الإثني المختلط بالجمع بين اليهود والأشكناز (يهود الغرب)، واليهود السفارديم (يهود الشرق)، وكون الدولة الصهيونية يسيطر عليها إثنيًا الأشكناز، وهم غربيون يعيشون في بلد شرقي تم احتلاله، فأصبح من الصعب اعتبار ما ينتجونه استشراقًا خالصًا، أو استغرابًا خالصًا.

٢- غياب المنهج في الاستغراب، وهذه صفة عامة تنطبق على الاستغراب الإسرائيلي، كما تنطبق على الاستغراب عند المسلمين ووجدت نفس المشكلة في الاستشراق وقد ناقشنا من قبل فكرة أن الاستشراق بلا منهج، وحكمنا عليه أنه ليس علمًا، بل هو حركة فكرية لها هدف محدد وهو توظيف المعرفة لتحقيق الهيمنة على الشرق[1]، أما المنهج فالاستشراق يتصف بحرية منهجية، أو تنوع منهجي؛ حيث استخدم الاستشراق كل المناهج العلمية المتوفرة في العلوم المختلفة بأقسامها المعروفة: العلوم الإنسانية، والعلوم الاجتماعية، والعلوم الطبيعة. وهذا الشأن المنهجي

(١) محمد خليفة حسن، أزمة الاستشراق (الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ٢٠٠٠م)؛ وانظر أيضًا: إدوارد سعيد، الاستشراق: المعرفة، السلطة، الإنشاء، ترجمة كمال أبو ديب (بيروت: مؤسسة الأبحاث العربية، ١٩٩٥م).

أراه ينطبق على الاستغراب. فهو لا يملك منهجًا خاصا به ولكنه يستخدم المناهج المنتمية إلى العلوم المذكورة. ولذلك يمكنني أن أُعرِّف الاستغراب بأنه حركة فكرية شرقية تسعى إلى تحقيق الهيمنة الشرقية على الغرب. ويجب أن نعترف بأن الاستشراق كحركة فكرية حقق نجاحًا ملحوظًا لم يحققه الاستغراب بعد.

وربما يفسر هذا عملية ربط الاستشراق بالاستعمار الغربي، واعتبار الاستشراق أحد جناحي الاستعمار، والتنصير هو الجناح الثاني للاستعمار في الأدبيات الإسلامية. ولا نعتقد أن الاستغراب سيكوِّن منهجًا خاصًا به، وسيكون رهين المناهج في العلوم الإنسانية والاجتماعية، ويجب أن نختار بين أن يكون الاستغراب علمًا، وأن يكون حركة فكرية لها أهدافها. وإذا اخترنا الاستغراب كعلم فيجب أن نطوِّر له منهجًا مستقلا يخصه. وقد حملت بعض الكتب الدارسة للاستغراب عنوان «علم» مثل كتاب الدكتور حسن حنفي «مدخل إلى علم الاستغراب»[1]، والكتاب لا يقدم علمًا له منهج. والحقيقة أن الغرب في معرفته للشرق لا يحتاج إلى علم، والشرق في معرفته للغرب لا يحتاج إلى علم. والمطلوب ليس علمًا دارسًا للشرق أو الغرب، ولكن المطلوب هو حركة دراسة للشرق أو للغرب لتحقيق أهداف الهيمنة مستعينة بالمنهج في العلوم الإنسانية والاجتماعية.

٣- التوظيف الإسرائيلي للاستغراب والاستشراق معًا دون تمييز، ولكل منهما مجالاته المستقلة مع بعض التداخل المنتج للدمج أو الخلط بين الحركتين الفكريتين. وهدف هذا التوظيف كما ذكرنا تحقيق الهيمنة على الشعب المدروس من خلال المعرفة من أجل تحقيق المصلحة اليهودية العامة، والمصلحة الصهيونية والإسرائيلية الخاصة. ويمكن القول بنجاح إسرائيل على المستويين الاستشراقي والاستغرابي مع الاعتراف بالخلط بين االاستشراق والاستغراب مع القول بوحدة الهدف أو الأهداف أو الحصول على المعرفة لتحقيق القوة المحققة للهيمنة والمؤدية إلى تحقيق المصالح.

٤- غلبة الاتجاه الصهيوني في الاستغراب الإسرائيلي. والحقيقة أن الصهيونية كما اهتمت بالشرق وبفلسطين من أجل إنشاء ما يسمى بالوطن القومي لليهود، اهتمت أيضا بدراسة الغرب من أجل تحقيق نفس الهدف، وركزت الدراسات الاستغرابية الإسرائيلية على معرفة الغرب، والدول الغربية، كما ركزت على معرفة الأقليات اليهودية في الغرب وتوظيفها صهيونيا من أجل الدخول في الصهيونية ودعم حركة الهجرة اليهودية إلى فلسطين، وحركة بناء المستوطنات والحصول على الدعم السياسي والدبلوماسي والاقتصادي الغربي لتحقيق هذه الأهداف الصهيونية. والحقيقة أن الكل يعمل تحت مظلة الصهيونية، الحركة الراعية في العالم لتحقيق المصالح اليهودية العامة والإسرائيلية الخاصة.

٥- الاهتمام الشكلي بالسلام وبالقضية الفلسطينية. لا يهتم الاستغراب الإسرائيلي بقضايا السلام مع العرب وبقضية

(١) حسن حنفي، مدخل إلى علم الاستغراب (القاهرة، الدار الفنية للنشر والتوزيع، ١٩٩١م).

فلسطين، ولا يوجد له دور فعال في التأثير على السياسة الإسرائيلية تجاه القضية. والاهتمام الأكبر هو بالأوضاع اليهودية في الغرب الأوروبي والأمريكي وبالعلاقات اليهودية المسيحية في الغرب، وتوظيفها لمصلحة إسرائيل.

٦- عدم الاهتمام بالحوار مع المسلمين، والاشتغال بحوارات شكلية مع عرب فلسطين تهدف إلى احتوائهم والهيمنة عليهم، وإقناعهم بالقضايا الصهيونية والإسرائيلية، وبيهودية الدولة، وغير ذلك من الأمور المرتبطة بقضايا الهوية دون أدنى اهتمام بالهوية الفلسطينية وبالحقوق الفلسطينية الأساسية، وبحقوقهم تحت الاحتلال. هذا في الوقت الذي تهتم فيه مراكز الاستغراب بحقوق الأقليات اليهودية في الغرب، وبتحسين العلاقات مع الدول الغربية، وبالدخول في حوار معها من أجل المصالح اليهودية للأقليات، والدفاع عنها وضمان حقوقها، وتعاونها مع الجماعات اليهودية في الغرب وتوجيهها لخدمة المواقف الصهيونية، وتطوير العلاقات مع الكنيسة الغربية، وبخاصة في مجال الحوار والتأثير على هذه الكنائس في تعميق وتطوير علاقتها باليهودية والصهيونية، ونجاحها في خلق كيانات مسيحية تعبر عن اندماجها في الصهيونية مثل الصهيونية المسيحية ودفعها إلى اتخاذ مواقف سياسية مستقلة بعيدًا عن الأمم المتحدة والمنظمات الدولية المسؤولة عن القضية الفلسطينية. وقد رأينا هذا سابقًا في إلغاء قرار الأمم المتحدة الخاص بعنصرية إسرائيل، والقرارات الأحادية الحديثة التي اتخذها الرئيس الأمريكي السابق دونالد ترمب ومنها قرار اتخاذ القدس عاصمة لإسرائيل، وقرارات السماح بالاستيطان الإسرائيلي في المناطق الفلسطينية، وقرار ضم هضبة الجولان إلى إسرائيل، وقرار ضم الضفة الغربية إلى إسرائيل، وأخيرًا قرارات التطبيع مع إسرائيل التي تولاها ترمب، وأجبر فيها عددًا من الدول العربية على التطبيع. وكل هذه قرارات أمريكية إسرائيلية خالصة دون الرجوع إلى المنظمات الدولية والعربية ذات الشأن في هذه القضايا.

٧- تبييض إسرائيل (Whitening of Israel)[١]: ومن الأهداف الرئيسة للاستغراب الإسرائيلي ما يسمى تبييض إسرائيل وأنها تمثل امتدادًا للشعوب البيضاء الأوروبية والأمريكية، ويتصرف مثل الجنس الأبيض في علاقته بالشعوب غير البيضاء. ومن الممكن أن نطلق على هذا التوجه عبارة: «أشكنزة إسرائيل» أي جعل إسرائيل اشكنازية خالصة. ومن المعروف أن الصراع الإثني بين الأشكناز والسفارديم صراع قوي داخل المجتمع الإسرائيلي بسبب الرغبة الأشكنازية في فرض السيادة على المجتمع الإسرائيلي عرقيًا، وثقافيًا، ودينيًا، وتوجيه المجتمع إلى الأخذ بالقيم الأشكنازية، وهي في الغالب قيم تنتمي إلى الحضارة الغربية، وتأخذ بها الأقليات اليهودية في أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية. ويُنظر إلى السفارديم على أنهم شرقيون بسبب أصولهم غير الأشكنازية وقيمهم القريبة من قيم أهل الشرق[٢]. وعلى هذا الأساس يمكن القول بأن الاستغراب الإسرائيلي استغراب أبيض مضاد إثنيا ليهود الشرق، ويفهم أن إسرائيل بيضاء، أو يجب أن تكون بيضاء ولأن هذا يجعلها

(1) Johannes Becke, *The Whitening of Israel: Occidentalism and Self- Occidentalization on the Israeli Lift.*

(٢) محمد خليفة حسن، (الشخصية الإسرائيلية ...)، مرجع سابق.

امتدادًا لهيمنة الرجل الأبيض، ويجعلها عرقيًا معادية في هذه الحالة وتابعة للفلسفة الأوروبية التي تجعل الرجل الأبيض متفوقًا عرقيًا وله حق السيادة على الشعوب غير البيضاء. وكانت هذه إحدى أسس الاستعمار الأوروبي التي عَّلل بها العملية الاستعمارية، واعتبرت الاستعمار يقوم بأداء رسالة حضارية في العالم غير الأبيض المتخلف حضاريًا فينقله إلى الحضارة والمدنية من خلال استعماره. والفكر الأبيض الإسرائيلي لا يختلف عن الفكر الأوروبي في هذا المجال بل يعتبر نفسه امتدادًا لهذا الفكر على المستوى الحضاري والإثني.

وهذا يجعل من الاستغراب الإسرائيلي شيئًا أكبر من مجرد امتداد للفكر العنصري الأوروبي. بل هو أسوأ من ذلك لأنه لا يطبق هذه القاعدة على الفلسطينيين والعرب فقط، بل هو يطبقها على جزء من اليهود غير البيض مثل اليهود العرب، واليهود السفرديم وبشكل عام، واليهود السود القادمين من الحبشة والدول الأفريقية.

٨- إحضار الغرب إلى الشرق[١]: تغريب الشرق كما وضَّحنا من قبل. وتتسع عملية إحضار الغرب إلى الشرق لكي تشتمل على التغريب الشامل للشرق، وتشير إليه الأدبيات الإسلامية تحت مسمى حركة تغريب العالم الإسلامي. وتواجه بعض الدول الشرقية غير الإسلامية نفس ظاهرة التغريب هذه التي يواجهها العالم الإسلامي. وكل أمة أو دولة منها تواجه التغريب بطرق مختلفة ومتضادة أحيانًا. فهناك من الدول من يقبل التغريب ويرحب به، ومنها من يرفضه رفضًا تامًا، ومنها من يحاول التوفيق بين التغريب والتقاليد الموروثة. وهذا الصراع بمواقفه المختلفة تُعاني منه كل البلاد الشرقية[٢].

وفيما يتعلق بالاستغراب الإسرائيلي فمسألة التغريب مسألة مقبولة منذ ظهور الحركة الصهيونية؛ حيث سعت الدولة الناشئة إلى أن تكون نموذجًا للغرب في الشرق، وكثيرًا ما ادعى الإسرائيليون بأن دولتهم غربية في قيمها وثقافتها، وأنها مختلفة ثقافيًا عن المحيط العربي الذي يحيط بها. ولذلك عُرِّف الاستغراب بأنه إحضار الغرب إلى الشرق وبأنه التقاء الغرب مع الشرق والشرق مع الغرب[٣].

٩- من هذا يتضح أن مشكلة الاستغراب الأساسية مرتبطة بالقضية الأكبر في المجتمع الإسرائيلي وهي قضية الهوية الغارق فيها المجتمع الإسرائيلي من خلال صراعات الهوية مثل صراع الأشكناز مع السفارديم، وصراع اليهود المتدينين مع اليهود العلمانيين، وصراع الهوية اليهودية مع الهوية الفلسطينية العربية، وصراع الفرق الدينية

(1) Hafna Hirsch, "we are Here to Bring the West, not only to ourselves" in *Zionist Occidentalism and the Discourse of Hygiene in Mandate Palestine* (Cambridge university press, 2009).

(٢) محمد محمود أبو غدير، «حاضر ومستقبل إسرائيل بين مفاهيم الصراع وتحديات السلام»، مجلة رسالة الشرق، مركز الدراسات الشرقية، جامعة القاهرة، ع. ١-٤، ١٩٩٧، ص. ١١٠-١١٢.

(3) Eiki Furumizo, East Meets West and West Meets East: A Comparison of Occidentalism and Orientalism, 2010;
وانظر: عز الدين معميش، «فكر الاستغراب في التداول المعرفي المعاصر: نحو رؤية موضوعية في اكتشاف الآخر»، مجلة الفكر الإسلامي المعاصر، ع. ١٠٠، صيف ١٤٤١هـ/ ٢٠٢٠م.

اليهودية مع بعضها البعض، وهو ينتمي إلى صراع الهويات، وصراع الإثنيات مثل صراع اليهود البيض مع اليهود السود أو مع اليهود غير البيض عمومًا[١].

والدور الذي يلعبه الاستغراب في هذا الصراع الإثني أو صراع الهويات هو دور كبير، فالاستغراب يؤسس للدولة البيضاء كما أن الدولة عمومًا تؤسس للدولة اليهودية. ويمثل هذا أفقًا مهمًا من آفاق الصراع الديني، فالدولة تسعى إلى التخلص من مسلميها ومسيحييها، وجعلها دولة يهودية خالصة لليهود على الرغم مما يحتويه هذا من تناقض شديد؛ لأن الدولة قامت على أكتاف اليهود العلمانيين، وأعداد العلمانيين اليهود تتفوق كثيرًا على المتدينين. فالدولة تحارب نفسها، وتعتمد على استراتيجيات معادية لجزء من اليهود. فهناك عداء واضح ضد يهود الشرق، وعداء أوضح ضد اليهود العلمانيين.

ويعتبر الدور الاستغرابي في مناصرة عرق على عرق، أو جماعة إثنية على جماعة إثنية أخرى دور مُخرب ومُدمر للدولة في مستقبلها. ولمقاومة هذا الصراع الإثني يظهر مفهوم الحرب مع الفلسطينيين والعرب كحل صهيوني لتوجيه الأنظار عن صراع الهوية، وتوجيه الأنظار إلى العدو الحقيقي بإثارة الحروب معه، وتوجيه الطاقة الإسرائيلية إلى الدخول في هذه الحروب المصطنعة من أجل الإبقاء على قضية الهوية والصراع حولها بعيدة عن الأنظار ومؤجلة إلى أجل ما. وهنا تأخذ فكرة الحرب الدائمة موقفها المركزي في الفكر السياسي الإسرائيلي، وهي الفكرة التي صبغت المجتمع الإسرائيلي بالصبغة العسكرية، والهدف من عسكرة الدولة المحافظة على الإحساس الدائم بالخطر الخارجي على حساب الشعور بالخطر الداخلي وهو خطر صراع الهويات. ولهذا فالمجتمع الإسرائيلي بهذه العسكرة الدائمة لا يفكر في السلام ولن يلجأ إليه حتى لو حدث تطبيع مع العالم العربي بأكمله، ويعتبره الخطر الأكبر على الدولة ومستقبلها في محيطها المعادي الداخلي، ومحيطها المعادي الخارجي[٢].

١٠- الاستغراب والتغريب: يُعد تغريب المجتمع الإسرائيلي من أهم أهداف الاستغراب الإسرائيلي. وهو هدف مشترك، والمطلوب هو تغريب المجتمع ككل أي تغريب الإسرائيليين، وتغريب الدولة وإلحاقها بالمجتمع الغربي وبالثقافة الغربية. وإلى جانب هذا يظل تغريب المجتمع الفلسطيني والعربي هدفًا دائمًا للحفاظ على حضارة المجتمع وثقافته وهي حضارة غربية، وأيضًا تغيير الهوية الفلسطينية والعرب عمومًا بتغريبها باعتبار إسرائيل مسؤولة حضاريًا عن تغريب الفلسطينيين وادخالهم في الحضارة الغربية، وكانت هذه دعوى الصهيونية في الأصل. وقد ورثت إسرائيل هذه الدعوى واعتبرت نفسها صاحبة رسالة إدخال الفلسطينيين والعرب في الحضارة الغربية.

(١) قاسم عبده قاسم، «اتجاهات الكتابة التاريخية الصهيونية بعد كامب ديفيد»، مجلة رسالة الشرق، مركز الدراسات الشرقية، جامعة القاهرة، ع. ١-٤، ١٩٩٧.

(٢) محمد محمود أبو غدير، «حاضر ومستقبل إسرائيل ...»، مرجع سابق، ص. ١١١؛ وانظر محمد خليفة حسن، (الشخصية الإسرائيلية ...)، مرجع سابق.

وهي تقوم بنفس العمل الذي ادعاه الاستعمار الغربي وبرَّر به العملية الاستعمارية الكبرى للشرق. وهكذا ورثت إسرائيل فلسفة الاستعمار الغربي واستراتيجيته في تغريب الفلسطينيين والعرب. وعملية تهويد فلسطين تشتمل في الأصل على عمليتين: الأولى تهويد المجتمع الفلسطيني، والثانية تغريب المجتمع الفلسطيني. ويجمع العمل الاستيطاني بين هدفي التهويد والتغريب أي بناء مجتمع يهودي يقوم على الأسس الحضارية الغربية. ولا ننسى هنا أن العلمانية هي العامل المشترك بين التهويد والتغريب، والزعم بأن الدولة دولة يهودية هو زعم باطل؛ لأن الدولة في الحقيقة دولة علمانية تميل بشكل أكبر إلى الثقافة العلمانية ذات الأصول الأوروبية، والتهويد محصور في الأقلية الدينية غير العلمانية. ويُعد هذا من أكبر التناقضات في المجتمع الإسرائيلي فهو مجتمع علماني يطالب بدولة يهودية[١].

١١- الاستغراب وعداوة الغرب: وُصف الاستغراب كحركة دراسة للغرب بأنه عدو للغرب، وقد جاء هذا الوصف للاستغراب في كتاب بوروما ومرجليت الذي أخذ عنوان: «الاستغراب: تاريخ مختصر للعداء للغرب»[٢].

كما وُصف الاستغراب أيضًا بأنه «تصورات عن الغرب»[٣]. والاستغراب حسب تعبير بوروما ومرجليت: «وصف الصورة غير الإنسانية للغرب التي رسمها أعداؤه» والتعبير المستخدم هنا هو (de.humanizing the west). كما عرف كاريير الاستغراب بأنه «الغرب في أعين أعدائه»[٤].

١٢- الاستغراب بمعنى الحداثة: إن إحضار الغرب إلى الشرق كهدف استغرابي إسرائيلي تم ربطه في إسرائيل بالحداثة. فالاستغراب بمعنى التحول إلى الغرب. تم فهمه على أنه يعني ربط العالم الإسلامي بالحداثة الغربية. وقد بُنى هذا على فهم خاطئ بتمثيل الحداثة بالغرب. ووجه الخطأ في هذا الفهم كما يقول جون أوبرت فُل: «إن العلاقة بين الإسلام والغرب علاقة معقدة، إن تمثيل الغرب بالحداثة خاطئ. وتبدو أخطاء هذا الفهم في أن الحداثة ليست غربية خالصة وأن الغرب ليس الحداثة ببساطة. فالغرب والحداثة مفهومان مختلفان وكيانان تاريخيان مختلفان[٥].

(١) يعقوب ملكين، اليهودية العلمانية، ترجمة وتعليق أحمد كامل راوي، سلسلة الدراسات الدينية والتاريخية، ع. ٢٥ (القاهرة: مركز الدراسات الشرقية، جامعة القاهرة، ٢٠٠٣).

(2) I.Buruma, and A.Margalit, *A Short History of Anti- Westernism* (London: Atlantic Books, 2004).

(3) J.G.Carrier, *Occidentalism: Images of the West* (Oxford, Clarendon Press, 1995).

(4) James G.Carrier, *Occidentalism: the west in the Eeyes of its Enemies* (2004).

(5) John Obert Voll, "The Mistaken Identification of The West With Modernity" on *The American Journal of Islamic Social Sciences*, vol.13 Spring 1996, no. 1, IIIT, p. 1.

الخاتمة

يتضح من العرض السابق أن موضوع الاستغراب الإسرائيلي من أكثر الموضوعات تعقيدًا بسبب ارتباطه بعدد من القضايا المهمة في المجتمع الإسرائيلي الأمر الذي يُصعِّب فهم الاستغراب في ظل تداخله وتشابكه مع عدة مسائل وقضايا إسرائيلية مهمة، وفي ظل عدم الاستقرار على تعريف واضح وصريح للاستغراب إسرائيليًا ودوليًا، وكذلك في ظل التناقض الداخلي بين الرغبة في شرقنة الدولة بما أنها موجودة في الشرق، وغربنة الدولة من خلال ربطها ثقافيًا وحضاريًا بالغرب ومن خلال ما يسمى بإحضار الغرب إلى الشرق. وتمثل الشرقنة والغربنة عمليتين فكريتين ترتبطان أصلا بمسألة تحديد هوية الدولة هل هي دولة غربية مزروعة في الشرق، أم دولة شرقية تبحث لنفسها عن أصول شرقية من خلال اختلاقٍ إسرائيل في الماضي، وإحياء لغة ميتة، ومن خلال تهويد فلسطين، وادعاء الأصول التاريخية والدينية للدولة. وهذا طبعًا من عمل الاستشراق اليهودي بينما يعمل الاستغراب الإسرائيلي على جعل إسرائيل دولة غربية بيضاء على أرض شرقيةٍ حاملة لرسالة الإنسان الأبيض بنشر المدنية الغربية في الشرق المتخلف حسب التبرير الاستعماري الأوروبي القديم، وحسب الفلسفة الاستعمارية في قرون الاستعمار الماضية. وهكذا يدخل الاستغراب الإسرائيلي مع الاستشراق الإسرائيلي في دائرة الصراع والتناقض داخل المجتمع، ويمثلان اتجاهين فكريين متضادين يتصارعان حول هُوية الدولة، وشكلها، وثقافتها. وسيظل هذا الصراع مستمرًا طالما استمر هذا التناقض في بنية المجتمع الإسرائيلي.

المصادر والمراجع

أولًا: المصادر والمراجع العربية

أبو غدير، محمد محمود. «حاضر ومستقبل إسرائيل بين مفاهيم الصراع وتحديات السلام». **مجلة رسالة الشرق**، مركز الدراسات الشرقية، جامعة القاهرة، ع. ١-٤، ١٩٩٧م.

أفيف، أفيفا. **المجتمع الإسرائيلي**، ترجمة محمد أحمد صالح، مراجعة محمد محمود أبو غدير. القاهرة: مركز الدراسات الشرقية، جامعة القاهرة، ع.٦، ١٩٩٨م.

تومسون، توماس ل. **أسفار العهد القديم في التاريخ: اختلاق الماضي**، ترجمة عبد الوهاب علوب، مراجعة محمد خليفة حسن. القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، ع. ١٨٥، ٢٠٠٠م.

حسن، محمد خليفة. «المدرسة اليهودية في الاستشراق». **مجلة رسالة المشرق**، القاهرة: مركز الدراسات الشرقية، جامعة القاهرة، المجلد ١٢، ع. ١-٤، ٢٠٠٣م.

———. **أزمة الاستشراق**. الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ٢٠٠٠م

———. **الشخصية الإسرائيلية دراسة في توجهات المجتمع الإسرائيلي نحو السلام**. القاهرة: مركز الدراسات الشرقية، سلسلة دراسات تاريخية ودينية، ع. ٢، ١٩٩٨م.

حنفي، حسن. **مدخل إلى علم الاستغراب**. القاهرة: الدار الفنية للنشر والتوزيع، ١٩٩١م.

دباشي، حميد. «إغناتس غولد تزيهر ومسألة الاستشراق» في كتاب: **ما بعد الاستشراق: المعرفة والسلطة في زمن الإرهاب**، ترجمة باسل عبد الله وطفه، مراجعة حسام الدين محمد. ميلانو: منشورات المتوسط، ٢٠١٥م.

الربيعي، فاضل. **ما بعد الاستشراق: الغزو الأمريكي للعراق وعودة الكولونياليات البيضاء**. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٧م.

سعيد، إدوارد. «الاستشراق والصهيونية». **مجلة المجلة**، الرياض، ع. ٤٠٨، ١٩٨٧.

———. **الاستشراق: المعرفة، السلطة، الإنشاء**، ترجمة كمال أبو ديب. بيروت: مؤسسة الأبحاث العربية، ١٩٩٥م.

السيد، رضوان. «اليهودية والصهيونية في الاستشراق». **مجلة الفكر الإسلامي**، ع. ١، السنة ١٩ (١٤٠٩هـ).

عبد الجليل، عمر صابر. «نقل المصطلحات الأوروبية في علم اللغة إلى اللغة العبرية الحديثة»، **مجلة رسالة المشرق**، مركز الدراسات الشرقية، جامعة القاهرة، المجلد السادس، ع. ١-٤، ١٩٩٧م.

عبد الكريم، إبراهيم. **الاستشراق وأبحاث الصراع لدى إسرائيل**. دار الجليل للنشر والدراسات والأبحاث الفلسطينية، ١٩٩٢م.

قاسم، قاسم عبده. «اتجاهات الكتابة التاريخية الصهيونية بعد كامب ديفيد». **مجلة رسالة المشرق**، مركز الدراسات الشرقية، ع. ١-٤، ١٩٩٧م.

مطبقاني، مازن بن صلاح. **الاستشراق والاتجاهات الفكرية في التاريخ الإسلامي: دراسات تطبيقية على كتابات برنارد لويس**. الرياض: مكتبة فهد الوطنية، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.

معميش، عز الدين. «فكر الاستغراب في التداول المعرفي المعاصر: نحو رؤية موضوعية في اكتشاف الآخر»، **مجلة الفكر الإسلامي المعاصر**، ع. ١٠٠ (٢٠٢٠م).

وايتلام، كيث. **اختلاق إسرائيل القديمة – إسكات التاريخ الفلسطيني**، ترجمة سحر الهنيدي، الكويت: سلسلة عالم المعرفة، العدد ٢٤٩، ١٩٩٩م.

ثانيا: المصادر والمراجع الأجنبية

References

‘Abd al-Jalīl, ‘Umar Ṣābir. “Naql al-Muṣṭalaḥāt al-Ūrūbbiyyah fī ‘Ilm al-Lughah Ilā al-Lughah al-‘Ibrīyyah al-Ḥadīthah” (in Arabic), *Majallat Risālat al-Mashriq*, Markaz Dirāsāt al-Sharqīyyah, Jāmī‘at al-Qāhirah, 6th. Vol. 1-4, 1997 AD.

‘Abd al-Karīm, Ibrāhīm. *Al-Istishrāq wa Abhāth al-Ṣirā‘ Ladā Isrā’īl* (in Arabic), Dār al-Jīl lil Nashr wa al-Dirāsāt wa al-Abhāth al-Falasṭīniyyah, 1992 AD.

“The Invention of Mizrahim”, *Jounal of Palestine Studies*, 29, no.1, 1999.

Abū Ghadīr, Mūḥammad Maḥmūd. “Ḥāḍir wa Mustaqbal Isrā’īl Bayn Mafāhīm al-Ṣirā‘ wa Taḥaddīyāt al-Islām” (in Arabic), *Majallat Risālat al-Sharq*, Makaz al-Dirāsāt al-Sharqiyyah, Jāmi‘at al-Qāhirah, Vol. 1-4, 1997 AD.

Afīf, Afīfā. *Al-Mujtama‘ al-Isrā’īlī* (in Arabic), Tr. Muḥammad Aḥmad Ṣālih, ed. Muḥammad Maḥmūd Abū Ghadīr, Markaz al-Dirāsāt al-Sharqīyyah, Jāmi‘at al-Qāhirā, Vol. 6, 1998 AD.

Al-Rabī‘ī, Fāḍil *Mā Ba‘d al-Istishrāq: al-Ghazw al-Amrīkī lil ‘Irāq wa ‘Awdah al-Kūlūniyyāliyyāt al-Bayḍā’* (in Arabic), Beirut: Markaz Dirāsāt al-Waḥdah al-‘Arabīyah, 2007 AD.

Amnon, R. “The Zionist Return to the West and the Mizrah, Jewish Perspective” in, *Orientalism and the Jews*, eds, Kalmar, I. Davidson and D. Penslar: Brandeis University Press, 2005.

Ashkenazi Jews, Wikipedia.en. Wikipedia.org /wiki/Ashkenazi Jews.

Bichi, Mohammed Abdelhalim, “Historical Roots of Occidentalism in the Islamic Heritage”, (in Arabic) *Journal of College of Sharia and Islamic Studies*, 2020, 37 (2):135-60. https://doi.org/10.29117/jcsis.2020.0245.

Binder, Bernard. “Deconstructing Orientalism”, in, *Islamic Liberalism, A Critique of Development Ideologies*. The University of Chicago Press, 1988.

Bryan, S. Turner. “Outline of a Theory of Orientalism”, in, *Orientalism: Early Sources*, vol. 1, Readings in

Orientalism, ed. by B.S. Turner, Routledge, London and N.Y., 2000.

Buruma, I. and Margalit, A. *Occidentalism: A Short History of Anti-Westernism*. London, 2004.

Carrier, James (ed.), *Occidentalism: Images of the West*. Oxford: Clarendon Press, 1995.

———. *Occidentalism: The West in the eyes of its Enemies*. 2004.

Comill, F. "Beyond Occidentalism', in, *Cultural Anthropolog 11*, 1996.

Dubāshī, Ḥamīd. *"Ignāts Ghold Tzīhar wa Mas'alat al-Istishrāq"* (in Arabic), fī Kitāb: *Mā Ba'd al-Istishrāq: al-Ma'rifah wa al-Sulṭah fī Zaman al-Irhāb*, Tr. Bāsil 'Abdullāh Waṭfah, ed. Ḥusām al-Dīn Muḥammad, Manshūrāt al-Mutawassiṭ Mīlānu, 2015 AD.

Furumizo, Eiki. "East Meets West and West Meets East: A Comparison of Occidentalism and Orientalism" *View of Communication*, vol. 5, 2005.

Ḥanafī, Ḥasan. *Madkhal Ilā 'Ilm al-Istighrāb* (in Arabic), Cairo: al-Dār al-Fannīyah lil Nashr wa al-Tawzī', 1991 AD.

Ḥasan, Muḥammad Khalīfah *al-Shakhṣīyyah al-Isrā'īlīyyah Dirāsah fī Tawajjuhāt al-Mujtama' al-Isrā'īlī Naḥw al-Islām* (in Arabic), Cairo: Markaz al-Dirāsāt al-Sharqīyah, Silsilat Dirāsāt Tārīkhīyyah wa Dīnīyyah, Vol. 2, 1998 AD.

———. "al-Madarsah al-Yahūdīyah fī al-Istishrāq" (in Arabic), *Majallat Risālat al-Mashriq*, Markaz al-Dirāsāt al-Sharqīyah, Jāmi'at al-Qāhirah, Vol 12-1-4, 2003 AD.

Hirsch, Hafna. "We are here to bring the West, not only to ourselves" in, *Zionist Occidentalism and the Discourse of Hygiene in Mandate Palestine*. Cambridge University Press, 2009

John Obert Voll, "The Mistaken Identification of The West With Modernity" on The American Journal of Islamic Social Sciences, vol.13 Spring 1996.

Joseph Massad, "zionism's Internal Others: Israel and the Oriental Jews, Journal of Palestine Studies 25, no.4, 1996.

Mamiche, Azzeddine Fikr al-Istighrāb fi al-Tadāwul al-Ma'rifī al-Mu'āṣir, Naḥwa Ru'yah Mawḍū'īyyah fī Iktīshāf al-Ākhar (in Arabic), *Majallalt al-Fikr al-Islāmī al-Mu'āṣīr*, Vol. 100, 2020 AD.

Maṭbiqānī, Māzin Ṣalāḥ. *Al-Istishrāq wa al- Ittijāhāt al-Fikrīyyah fī Tārīkh al-Islāmī* (in Arabic), Dirāsāt Taṭbīqiyyah 'Alā Kitābāt Birnārd Luwīs, Maktabat Fahd al-Waṭanīyyah, Riyadh, 1416 AH – 1995 AD.

Qāsim, Qāsim 'Abduh. *Ittijāhāt al-Kitābah al-Tārīkhiyyah al-Ṣahyūniyyah Ba'd Kāmb Dayfid* (in Arabic), Majallat Risālat al-Mashriq, Markaz al-Dirāsāt al-Sharqiyyah, Vol. 1-4, 1997 AD.

Rodinson, M. "The Western Studies of Islam" in, *The Legacy of Islam*, ed.by J. Schacht and C.E. Bosworth. Oxford: The Clarendon Press, 1974.

Sa'īd, Idwārd. *Al-Istishrāq wa al-Ṣahyūnīyyah* (in Arabic), Majallat al-Majallah, No. 408, Riyadh. 1987.

———. *Al-Istishrāq: al-Ma'rifah, al-Sulṭah, al-Inshā'* (in Arabic), Tr. Kamāl Abū Dīb, Beirut, 1995 AD.

Sayyid, Riḍwān. "al-Yahūdīyah wa al-Ṣahyūnīyyah fī al-Istishrāq" (in Arabic), *Majallah al-Fikr al-Islāmī*, 1st. Vol, 19 AD – 1409 AH.

Sephardi: Meaning, Customs, History and Facts, at http://www.Britannica.com

Smohat, Ella. "Sephardim in Israel: Zionism from the Standpoint of its Jewish Victims", *social Text 7*, 1988.

The ICCI Guide to Interreligious Activities in Israel, Jerusalem, 1995.

Tūmsūn, Tūmās L., *Asfār al-'Ahd al-Qadīm fī al-Tarīkh: Ikhtilāq al-Māḍī* (in Arabic) Tr. 'Abd al-Wahhāb 'Allūb, ed. Muḥammad Khalīfā Ḥasan, al-Majlis al-A'lā lil Thaqāfah, Vol. 185, Cairo 2000 AD.

Wāytlām, Kīth. *Ikhtilāq Isrā'īl al-Qadīmah* (in Arabic), Iskāt al-Tārīkh al-Filisṭīnī, Tr. Saḥar al-Hunaydī, Silsilat 'Ālam al-Ma'rifah, Vol. 249, Kuwait, 1999 AD.